التوابيت لدفن الغرقى . لكن لم تمضِ ايام كثيرة حتى تناظر طلاب الذهب الى هناك ثانية وبنوا بيوتاً اخرى امتن من الاولى واقوى على مقاومة انذار وزاد المستخرج من الذهب لان النار عرّت الارض من اشجارها وكشفت اديمها فبانت عروق المعادن التي فيها . والعمران يرقى على رمم ضحاياه

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الشهقة او السعال الديكي

هو مرض وافد يصيب الصغار على الغالب يسمّى في سورية الشهقة وفي مصر السعال الديكي وهذا الاسم الاخير ترجمة اسم المرض بالفرنسوية . وقد لحظنا ان هذا السعال يتفشى في هذا القطر في الربيع غالباً . وهو متفشٍ الآن في القاهرة وبعض مدن الريف . كتب الينا بعضهم يقول :

أصيب طفل لي بهذا السعال وعمره ستة وشهران . وكان اول الاعراض زكام دام اسبوعين فلم نشتبه في الاصابة ثم جعلنا نسمع الصوت المميز لهذا الداء فعرفنا اذ ذاك ان الطفل اصيب بالشهقة . ولاريب انهُ اعدي بها من بعض اولاد الجيران. وهذا الصوت المميز للعرض اشبه بصوت الدجاجة عند ما تبيض منهُ لصوت الديك ولو انصفوا لسموهُ الصياح الدجاجي لا الديكي

ولما اشتدت بالطفل نوباتهُ قصدت طبيباً صديقاً فقال ليس لهُ سوى الهواء النقي والطعام المغذي السهل الهضم ولكنهُ وصف لي دواء قال انهُ آخر ما وصل اليهِ الطب في علاج هذا الداء وفيهِ احد مركبات البروموز . وزاد على ذلك قولهُ ان الدواء لا يشفي الداء بل لا بدّ للداء من متابعة سيره كالحمى التيفوئيدية حتى يخفّ من قسوهِ شيئاً فشيئاً وجهد ما هناك ان الدواء يباعد بين النوب فيكفي الطفل تباريحها على قدر الامكان . ثم دفع اليّ كتاباً بالانكليزية قائلاً اقرأ هذه

الصفحة منهُ . والكتاب تقرر طبي عن الامراض التي ظهرت في انكلترا سنة ١٩١٧ والصفحة المشار اليها تحتوي على كلام في الشهقة وخلاصة هذا الكلام ان ثلاثة اطباء مستقلين ذكرت اسماؤهم عالجوا الشهقة بالثوم فجاء علاجهم بالغرض المرغوم . فلما اطلعت على ذلك سرّني عني بعض الشيء وذكرت قول القائل « يا ما ينفع الثوم »

وطريقة العلاج ان يؤخذ بعض فصوص منهُ وتقطع او تدق وتوضع بين خرقتين تربطان على اخمص القدم او القدمين ويترك الثوم هناك عتصهُ الجلد وتغير الربطة مرة كل يوم . وقد قال الاطباء المشار اليهم ان حالة مرضاهم تحسنت في يومين وشفوا في عشرة ايام

ففعلنا كما قالوا حتى كانت رائحة الثوم تشتم من نفس الطفل وعرقهِ وحتى لم يبقَ في البيت شيء لم تخترقهُ رائحة الثوم . ومضت على هذه الحالة اربعة ايام فلم تتحسن حالة الطفل قيد شعرة بل انها ساءت لان الثوم كوى اخمصيهِ رغم الاربطة فتكونت عليهما مجال امتلأت ماء . ولا يزال حتى الآن يشكو الحكاك منها فنداويها بالغسل بالبوريك والماء الفاتر مع الملح . ولا يمكن اتهام الثوم الذي استعملناهُ لان البلاد بلاد الثوم واحسن اصنافهِ ما زرع هنا وفي الشام

وأعديت بالداء اخت للطفل عمرها ثلاث سنوات ولم تُعْدَ اختان اخريان عمر الواحدة نحو ٥ والثانية نحو ١٣ لانهما أصيبتا بالشهقة منذ اربع سنوات . ولا أعديت الام مع انها لم تحافظ على شروط الوقاية بل كثيراً ما كانت تاكل مع الطفلين من صحفة واحدة . وقد علمت ان اختاً لها اصيبت بالشهقة وهما طفلتان ولزمتها سنة فلم تصب هي مع انها كانت تنام معها في فراش واحد . والظاهر ان جسمها غير قابل لعدوى الشهقة . ولم أصب انا لاني أصبت بالشهقة صغيراً وهذا يؤيد القول ان الشهقة لا تصيب الانسان الا مرة واحدة وما شذَّ عن ذلك فنادر

فمن هذا الشذوذ ان سيدة متوسطة السن اصيبت بالشهقة طفلة واصيبت بها في هذه السنة مع انها لم تخالط معصاباً على ما تعلم . وقد قالت انها نزلت منذ سنوات قليلة بين عائلة اصيب اولادها بالشهقة فلم ينلها مكروه وقد اصيبت الآن

من حيث لا تعلم . واغرب ما هنالك اني اعرف عجوزاً اصيبت بالشهقة ولا تزال تضايقها حتى كتابة هذه السطور

وقد تحمل الطفلان برحاء المرض فلم يستسلما ولم يكد وزنهما يخف وحافظا على قوتهما اذلم يصحبهُ اختلاطات وربما كان بعض السبب عدم تسلط القيء عليهما. بيد ان الصبيّ اصيب بتشنج عصبي على اثر حمى لزمتهُ اياماً فلم نشتبه فيها حتى رأينا علامات الانحطاط بادية عليهِ ثم اخذتهُ نوبة تشنج خفيف مرتين لم تدم في كل مرة سوى دقيقة . وكانت الحمى نتيجة تلك ممدة فعالجناهُ بالحقن البسيطة والحمام الفاتر فلما لم تأتِ بالفائدة المطلوبة استشرنا طبيباً دلنا عليهِ بعض اصحابنا فاشار بحقنة شرجية خصوصية مؤلفة من الحلتيت واحد مركبات البرومور فكان فيها الشفاء التام من التشنج وقد قال لنا انها خير علاج معروف للتشنج

واتفق غير واحد على القول ان تغيير المسكن والانتقال منهُ الى مسكن آخر بعيد عنهُ في المدينة نفسها او في احدى قرى الريف او في احد المصايف خير علاج للشهقة . اقول واذا تيسر هذا الامر للاغنياء والاوساط فلا يتيسر للفقراء ومن هم اعلى درجة منهم . وجمهور الامة يتألف من اهل هاتين الطبقتين

بقي ان اقول اني سمعت عن لسان طبيب سوريّ كان يعلم في مدرسة الطب الاميركية في بيروت قبل الحرب انهم كانوا يعالجون المصابين بالشهقة بعصل كان يؤتى بهِ من المانيا فكانوا يشفون في عشرة ايام . والعهدة على الراوي

والظاهر ان اطباء العرب كانوا يسمون هذا الداء الخناق بضم الخاء او تشديد النون والجمع خوانيق واشتهر عندهم بالاسم الاخير . فقد جاء في كتاب «كنوز الصحة ويواقيت المنحة» لمحمد التونسي ما نصهُ :

«الخناق المعروف قديماً بالخوانيق وهو داء يعرض للاطفال الصغار بسبب زلة صدرية تقيلة ثقلاً فاحشاً وتسمى بالخناق وهو سعال تشنجي يأتي على نوب ويصحبهُ لغط مخصوص يشبه انين الجرو الصغير او صياح الديك وهذا اللغط ناشئ عن ضيق مجرى الهواء الناشيء عن تورم غشائهِ او من تكوين الغشاء الكاذب فيهِ فيعسر مرور الهواء فيهِ فيعتري الطفل الاختناق المذكور . لكن هذه الحالة لا تستمر بل يمضي فيها فترات تختلف فقد تكون بعض ساعات وقد تكون بعض

أيام. وهذا المرض ثقيل جداً فان لم يسعف بالوسائط اللازمة مات الطفل والوسائط لشفائهِ ان يوضع على جوانب عنقهِ اربع علقات اوست ويكرر الوضع حتى يضعف ضعفاً عظيماً من كثرة خروج الدم ويغطى محل عضها بضماد ملين وتوضع اقدامهُ في ماء حار مخردل ويحقن بالماء او يسقى قليلاً من الشراب الذي قد وضعت فيهِ قحة من الزبيق الحلو يحدث عنهُ تصريف ما في القناة الهضمية . واذا تكون في هذه الحالة غشاء كاذب يسقى الطفل قليلاً من الشراب قد ذوبت فيهِ عشر قحات او اثنتا عشرة قحة من مسحوق عرق الذهب فيتقايا وبذلك القيء يسهل خروج ما في المجرى من الجسم الغريب . وفي هذا المرض يحمى الطفل حمية جيدة ولا يسقى الاَّ الاشربة الخفيفة »

ولكن ورد في كتاب تقويم الابدان لابن جزلة الطبيب ما يأتي :

« والخوانيق ورم حارٌ تعرض لعضل الحنجرة فان كان في عضلها الداخل قيل لهُ الخوانيق الكلبي وهذا النوع من الخوانيق ليس يكاد ان ينجع فيهِ العلاج اذا كان من زوال فقار الرقبة . وكثيراً ما يعرض بالصبيان لضعف رباطات الفقار او من سقطة او ضربة . وعلامات الخوانيق كعلامات الذبحة الاَّ انها اشد ولا يمكنهُ البلع واذا اجتهد في الازدراد صعد ما يزدردهُ الى ثقب الخنك وخرج من الانف لانسداد ثم المري . واسلم الخوانيق ما ظهر ورمهُ الى خارج الحلق وارداها ما لم يظهر فيهِ الورم عند فتح الفم »

وهذا الوصف اقرب الى الدفتيريا منهُ الى الشهقة

وجاء في قانون ابن سينا تحت عنوان « الخوانيق والذبح » ما يأتي :

« وقد يكون سبب الخوانيق في الغشاء المستبطن لعضلات الحلق وهو شر الاربعة ... وكل ورم خناقي فاما ان يقتل واما ان ينتقل مادتهُ واما ان يجمع ويقيح . والخناق الردىء المحوج الى ادامة فتح الفم ودلع اللسان يسمَّ الكلبي ... وكل مخنوق يموت فانهُ يتشنج اولاً . والخناق الكلبي قد يقتل فيما بين اليوم الاول والرابع . وقد تكثر الخوانيق واشباهها في الربيع » — والكلام طويل يملأ نحو ثلاث صفحات من المقتطف ويفهم منهُ ان الدفتيريا نوع من الخوانيق